الخطاب الإقناعي في الشعر الجزائري المعاصر
مقاربة تداولية لقصيدة تسابيح فجر العرب

Persuasion discourse in contemporary Algerian poetry A deliberative approach to the praise of Dawn of the Arabs.

د. فاطمة بن يمينة
د. بلقاسم خروبي
جامعة عبد الرحمن بن خلدون- تيارت(الجزائر)
aminafatima14@outlook.fr

تاريخ الإيداع: 2018/09/06 تاريخ القبول:2018/09/21 تاريخ النشر: 2018/12/01

ملخص:

يعد الخطاب الشعري من أهم الخطابات التعبيرية الغنية بالمقاصد الخفية للمُخاطِب، الساعي من ورائها التأثير في متلقيه والعمل على إقناعه بتغيير وجهة نظره أو تعديل سلوكه، وهو ما يؤهله بأن يكون خطابا حجاجيا بامتياز. لذا أصبح عنصرا مهما للدراسات النقدية التحليلية. وهو ما دفع بنا إلى مقاربة قصيدة "تسابيح فجر العرب" للشاعر الجزائري جيلالي حلام. محاولين الكشف عن تجليات الخطاب الإقناعي فيها، وكل ذلك في ضوء المنهج التداولي.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الشعري ; الإقناع ; تسابيح فجر العرب ; المتلقي.

summary:

The poetic discourse is one of the most important expressive discourse that is rich in the hidden purposes of the speaker, which seeks to influence the recipient and to persuade him to change his view or modify his behavior, which qualifies it to be a very convincing discourse. It has become an important component of critical analytical studies. This led us to approach the poem "Praise of the Dawn of the Arabs" by the Algerian poet Gilali Halam. Trying to reveal the manifestations of the discourse of persuasion, all in light of the deliberative method.

Key-words: poetry discourse;persuasion; praise of the dawn of the Arabs; the receiver.

البحث:

بظهور اللسانيات التداولية ، أضيف لدراسة اللغة مستوى آخر يهتم بالجانب الذي ألغاه، أو أبعده أبو اللسانيات دي سوسير **De. Saussure**؛ وهو الجانب التداولي الذي أعاد للكلام والذات الفاعلة الاعتبار. والاهتمام بالكلام يحيلنا مباشرة إلى نظرية أفعال الكلام، التي ركزت على المقول وما يتضمنه من قوة انجازية وما يتركه من أثر في المتلقي.

إذ يرجع ظهور المنهج التداولي، إلى الفيلسوف الإنجليزي"أوستن" **Austin** إثر صدور كتابه: "نظرية أفعال الكلام العامة –كيف تنجز الأفعال بالكلام- (1955م).حيث؛ حدد مفهوم التداولية بأنّه؛ العلم الذي يهتم بالشروط اللازمة لأن تكون الأقوال مقبولة وملائمة بالموقف التواصلي الّذي يحدث فيه الكلام، أي؛ يهتم بدراسة كيف يكون للمقول معنى في السياق التخاطبي، المراعي لمجمل العلاقات القائمة بين مجموع المشاركين في عملية التخاطب من: (مرسل و مرسل إليه ورسالة وسياق ولغة مشتركة بين المتخاطبين).

ورغم تطور نظرية أفعال الكلام مع "سيرل" **Searl** ومجموعة من التداوليين آخرين في السبعينيات والثمانينات، إلا أنهم بقوا أوفياء لفكرة "أستن" التي ركز فيها على اللغة واستعمالاتها من طرف قطبي العملية التخاطبية؛ أي أن التداولية تهتم بمختلف استعمالات اللغة وعلاقات العلامات بمستعمليها المؤولين لها، بالاعتماد على جملة من الافعال الكلامية التي ينتجها المتكلم مع مراعاة قصده ونواياه، وتهتم بالشروط الملائمة لنجاح الأفعال من خلال الأثر الذي تتركه في المتلقي ضمن سياق معين[1]

هكذا؛ اهتم علماء التداولي، بالفعل الكلامي الذي يؤدي إلى تحول وضع المتلقي، وتغيير نظام تفكيره ومعتقداته، وتبديل مواقفه السلوكية، فكان تركيزهم في دراستهم للمنهج التداولي على مرتكزات العملية التخاطبية من متكلم ومخَاطب وخطاب، والبعد الحجاجي والإقناعي للفعل الكلامي في الخطاب.

ويعتبر الخطاب الشعري من أهم الخطابات التعبيرية الغنية بالمقاصد الخفية للمتكلم، الذي يروم من ورائها التأثير في متلقيه والعمل على إقناعه بتغيير وجهة نظره أو تعديل سلوكه، وهو ما يؤهله بأن يكون الخطاب المناسب للدراسات التداولية.

و تعد قصيدة "تسابيح فجر العرب" للشاعر الجزائري "جيلالي حلام "[*] الذي أولى خطابه اهتماما بالغا إذ؛ جمع فيه بين أساليب الإمتاع والإقناع، ليمنحه قوة وفاعلية تجعله أكثر تأثيرا في المتلقي، من أجل استمالته وهذا ما يدل على أن شاعرنا لا يقصد إلى نقل تجربة ذاتية، بقدر ما يهدف بالأساس إلى «حمل المتلقي على فعل سلوك ما، وتحريك نفسه والتأثير فيه للقيام بعمل ما»[2] وذلك بما حملته القصيدة من توجيه، وإرشاد وحث، وتوظيف للأفعال اللغوية المتمثلة في النفي، والأمر، والاستفهام، والنداء، وغيرها.

وعليه، يمكننا أن نتساءل عن استراتيجية الشاعر في بناء قصيدته بناء حجاجيا؟ وعن الدور الفعال للأفعال اللغوية في إكساب خطاب جيلالي حلام الطابع الحجاجي ؟ وكيف أسهم الرابط الحجاجي في بناء الخطاب الحجاجي لقصيدة"تسابيح فجر العرب"؟

وفي محاولتنا للإجابة عن هذه التساؤلات سنركز على الاستراتيجيات الحجاجية المتبعة من طرف الشاعر، وعلى الدور الإقناعي لأفعال الكلام في القصيدة،مع رصد لبعض الروابط الحجاجية بدءا بـ :

***-الاستراتيجيات الحجاجية:** رسم الشاعر عدة استراتيجيات في بنائه لخطابه ومن أهمها إستراتيجية التأثير التي تقتضي وجود طرفي التخاطب، حيث يرمي المُخَاطِب إقناع المُخَاطَب بما يطرحه عليه فيهتم هذا الأخير«بتفاصيل الرسالة، ويدرك مضمونها، ويفهم محتواها،ويقبله فيحدث الاحتواء، ويكون المُخَاطَب داخل رؤية المُخَاطِب»[3] . إذ نلمس في القصيد تنامي للوظيفة الانتباهية التي تهدف إلى شد انتباه المتلقي، والمتمثلة في الأمر مثل:

(فافرش، وقم دغدغ، وأطفئ، وسل،ودعني,اتخذ, واقرأ)، ونجدهذه الأفعال في البيت(2-3-4-5-11-34)، والنهي(لا تترك، ولا تهزأ، ولا تعبثي، ولا تعتبي، لا تسأل،لا تبتئس)، في الأبيات (03 -20-27-36-53)،والاستفهام في(14-18-21-25-26-27-28-29)،لم يقصد الشاعر من طرحه لهذه الأسئلة البحث عن الإجابة بل يهدف إلى«الإثارة ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح»[4]والمتمثل في مرارة الواقع المعيش والسعي إلى تغييره.

أما ما يلاحظ في النداء(يا لوعتي، ويا راكب، ويا أمة، ويا ساكب، و يا عاشق، ويا للجهاد، وياشعب، هيا انفخ القربا، يا غربتي)في(07-14-20-23-24 -38-46-49)، أن الشاعر وظف حرف " الياء" لأنه يستعمل لكل منادى قريب أو بعيد ، وهذا دلالة على أن المبدع يقصد من وراء ذلك تنبيه كل عربي مسلم متواجد في المغرب أو المشرق إيمانا منه بوحدة مصير الأمة العربية. كما نشعر باستغاثة الشاعر وحاجته إلى من يدعم موقفه فيساعده على فعل شيء لتغيير الواقع الممقوت. لذلك اعتمد الشاعر على الضمائر المساهمة في إنشاء الشبكة التواصلية بين الشاعر والقارئ، إذ استخدم الضمير المتصل تاء المتكلم وكاف المخاطب، و الضمير المنفصل المضمر وجوبا المقدر"أنت" وهي تقنية لغوية تهدف إلى إبقاء القارئ على نفس الخط مع الكاتب لأجل إنجاح العملية التخاطبية.

- **قواعد التخاطب:** التزم الشاعر بصفته الذات المتكلمة التي تنصهر فيها كل الذوات ، ببعض المبادئ التي تنبني عليها العلاقة التخاطبية مثل مبدإ التعاون الذي جاء به الفيلسوف الامريكي بول غرايس **H.P.Grice**، وقد طورها ديكرو **Ducrot** الذي يرى أن « المقول يحمل في ذاته تعبيرا عن السيمة الحجاجية ؛ وهي سيمة تتنوع حسب المتكلمين وتبعا لأوضاع الخطاب»[5]. وقد نعتها بقوانين الخطاب لإعطائها « للكلام بعدا تفاعليا طالما أنها تمنح للمتلقي فرصة لتأويل الخطاب لتصل به إلى تحديد المقاصد التي يرمي اليها المتكلم »[6] وتتمثل هذه المبادئ في :

أ- **مبدأ الكم:** يقصد بهذا المبدأ أن تكون المعلومات المقدمة للمخاطب « على قدر حاجته لا... تتعدى القدر المطلوب»[7] وغاية هذا المبدأ أن يجعل المتلقي يستفيد من الخطاب. ونحن إذا تأملنا خطاب الشاعر نجده يحيل القارئ إلى الواقع الراهن للعالم العربي، والمتلقي دون شك سيتفاعل مع هذا الخطاب الذي يحمل همومه وسيستفيد مما يقدم له من حجج تجيب على تساؤلاته الكثيرة فمثلا عندما يقول الشاعر[8]:

"يَا أُمَةً غَابَ في الإِدْمَانِ دَيْدَنُهَا لاَ تَعْبَئِي بِالْطَلَى، فَالإِنْسَانُ قَدْ وَدَبَا

مَا قِيمَةُ العُمْرِ والأَكْبَادُ وَاجِلَةُ؟ مَا قِيمَةُ المَالِ لِلأَقْزَام مُنْتَسِبَـا؟

هَيْهَاتَ تُبْنَى رِحَابَ المَجْدِ شَامِخَة ِ والبِئْرُ تَرْغُو بِصَوْت يُورِثُ العَجَبَا

تَرْغُو رُغَاءً وقَدْ جَفَتْ حَوَالِبُهَا يَاسَاكِبَ النَفْطَ بَعْضَ الرُوحِ قَدْ سُكِبَا

فهذه الأبيات يريد الشاعر من ورائها توضيح الخطأ الفادح المرتكب من طرف الشعوب العربية، ولاسيما من طرف الحكام المتمثل في الاعتماد على البترول اعتمادا كليا في تنمية وتطوير البلاد العربية، ناصحا إياهم بالرجوع إلى المقومات الأساسية التي ينبغي الارتكاز عليها لاستعادة المجد الضائع.

ب - **مبدأ الكيف:** يتمثل هذا المبدأ في أن يكون المُخَاطِب صادقا في كل ما ينقله للمُخَاطَب كما يقول طه عبد الرحمن:« لا تقل ما تعلم كذبه...لا تقل ما ليس لك عليه بينة »[9] أي على المتكلم أن يقدم حججا وأدلة مقنعة وصادقة.

فكلما «كان الشاعر صادقا في معاناته ساعيا إلى تبليغ خطاب ما راميا إلى التخاطب والتواصل مع الآخرين له غاية واضحة وهدف محدّد يرمي إليه، كلما كان أكثر حجاجية»[10]،ونحن نلمس هذه الميزة في كل أقوال شاعرنا، لما لها من تطابق مع الواقع العربي المعاصر فمثلا عندما يتكلم على تخلي الفلاح عن خدمة الأرض في قوله[11]:

يَا عَاشِقَ التِينِ والزيْتُونِ في وطني إني رأيتُ الغَضَا لا يُنْتِجُ الرَطَبَا

ما السرُّ؟ بالله خَبرِني بلا حَرَجٍ هل شاقه الدهر مثلي أم ترى سببا؟

قد حادثتني حقول الزرع مشفقة مالي، أرى الجيل كفر أيكره التربا

فالشاعر الجزائري ينقل للمتلقي واقعا حقيقيا وهو الهجرة من الريف إلى المدينة والبحث عن العمل بالمصانع بدلا من خدمة الأرض وقد وظف الشاعر الكثير من الاستعارات لإثبات صدق نواياه.وذلك لأن :« القول الاستعاري يتمتع بقوة حجاجية عالية إذا ما قورن بالأقوال العادية »[12]إذ تلعب دورا مهما في دعم مصداقية الشاعر، فقوله: "حادثتني حقول الزرع" استعارة مكنية حددت واقع الفلاحة في الجزائر.

ج – **مبدأ العلاقة:** يفترض هذا المبدأ أن يتناسب الخطاب مع السياق أي «ليناسب مقالك مقامك»[13]وبالتدقيق في النص الذي نقاربه يتبين أن شاعرنا طبق هذا المبدأ في كل القصيدة إذ جاء كل مقطع من مقاطع القصيدة يعكس قضية وطنية أو قومية عايشها العالم العربي وللتمثيل نذكر هذه الأبيات [14]:

"مَا الحَرْفُ إلا سُوِيدَاءَ الفُؤَادِ فَلاَ تَهْزَأْ بِحَرْفٍ وكُنْ لِلْضَادِ مُنْتَسِبَا

تَفْنَى نُجُومُ، وتُمْحَى كُلُ حَادِثَـة ٍ ويُخَلَدُ الحَرْفُ لِلْأَيَامِ مُرْتَغَبَـا

يَا رَاكِبَ البَحْرِ والمِجْدَافُ مُتْعَبَةُ مَاذَا جَرَى؟والبَلاَ مَا خَالَطَ اللَعِبا

أَوْغَلْتَ في اليَمِّ والإعْصَارُ يُبْعِدُنَا شِبْرًا فَشِبْرًا، وجَيْشُ المَوْجِ قَدْ وَثَبَا

مَا كَانَ أَجْدَاكَ لو عَرَجْتَ مُتَخِذًا وَجْهًا جَدِيدًا،بِشَطٍ يُبْعِدُ العَطَبَـا

يطرح المبدع قضية وطنية وتتمثل في مهاجمة اللغة العربية من طرف الكثير من المتفرنسين الذين يتهمون اللغة العربية بالعجز عن مسايرة العصر.

د - **مبدأ الجهة:** يشترط في هذا المبدأ أن يتجنب المتكلم اللبس والغموض كما ينبغي أن يكون واضحا مستعينا بما يسهل للمتلقي فهم الرسالة التي يحملها الخطاب فيبقى على تواصل معه ولتحقيق هذا المبدأ لجأ الشاعر إلى ترتيب كلامه بكيفية تفصح عما يريده، إذ بدأ بمقدمة غزلية وهي عادة العرب وكل مثقف عربي يعلمها،ثم راح يطرح القضية تلوى القضية وهى كلها قضايا متداولة منتشرة بين أبناء العالم العربي وللتمثيل نأخذ هذه القضية التي أراد معالجتها في الابيات التالية[15] :

لَمَّا سَجَا اللَيْلُ لِلْفُرْسَانِ كي يَثْبُوا نَادَيْتُ أَهْلِي فَلَمْ أَسْمَعْ لَهُمُ لَغَبَـا

هَذَا له السَوْطَ لِلْأَيْتَامِ يُسْكِتُـهُمْ وذاكَ يَبْنِي على أَشْلاَئِهِمْ قِبَبَـا

فَالْشَعْبُ يُنْسَى مَتِيّ كَانَتْ خَزَائِنُهُمْ مَـلْأَى ومَأْمَنَهُمْ يَسْتَبْعِدُ الْلُجَبَـا

وَالشَعْبُ يُرْجَ إِذَا دُكَتِ مَرَاكِبُهُمْ .....

إنّه يريد أن يبين للقارئ كيف انقلب وضع الرعية العربية بعدما انقلب حال الحكام،وما هم عليه من هوان وذل نتيجة تخليهم عن كبريائهم ونخوتهم وعزتهم العربية.

- **الروابط الحجاجية:** إذا كانت الروابط النحوية تحقق«للنص الشعري اتساقه و تلاحمه و انسجامه النحوي والنصي»[16]فإن الروابط الحجاجية تحقق له«الانسجام التداولي و الحجاجي»[17]وقد تواجدت بعض الأدوات في القصيدة مثل:

الرابط الحجاجي "حتي" الذي يقابله في اللغة الأجنبية Meme والذي أقرا كل من Ducrot"ديكرو"و"انسكومبر Canscimb"بأن «الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فإن القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال و التعارض الحجاجي»[18] والقصيدة تتوفر على هذا الرابط والذي سنبرز دوره من خلال الأمثلة الآتية:

1- هَامَتْ بي الْغِيدُ سَكْرَي تَنْتَشِي طَرَبَا حَتَّى شَكَا لِلْهَوَي قَلْبِي بِمَا رَحُبَـا[19]

فالرابط في هذا البيت ربط بين حجتين:

- هَامَتْ بي الْغِيدُ سَكْرَي تَنْتَشِي طَرَبَا ⟵ الحجة الأولى

- " حتى" ⟵ الرابط الحجاجي

- شَكَا لِلْهَوَي قَلْبِي بِمَا رَحُبَا ⟵ الحجة الثانية

كل من الحجة الواردة قبل وبعد الرابط الحجاجي تخدم نتيجة واحدة مفادها أن الشاعر عاشق ولهان

2- لاَ عُقْبَةَ اليَوْمَ آتٍ رَاكِبًا فَرَسًا لاَ نَخْوَةَ الجَرَّاحِ، حتّى الرُمْحَ نَخَبَا"[20]

الرابط في هذا البيت يربط بين عدة حجج هي:

- لا عُقْبَةَ اليَوْمَ آتٍ رَاكِبًا فَرَسًا ⟵الحجة الأولى

- لاَ نَخْوَةَ الجَرَّاحِ ⟵الحجة الثانية

- "حتى" ⟵الرابط الحجاجي

- الرُمْحَ نَخَبَا ⟵ الحجة الثالثة

جاءت الحجج متساوقة تخدم نتيجة واحدة مفادها أن الضعف و الهوان مس جميع المجالات والميادين الحيوية حتى الميدان العسكري لم يعد يقوم بالمهمة المنوط بها وهي الدفاع عن شرف الأمة الإسلامية.

جاءت الحجة التي بعد الرابط أقوي من التي وردت قبل الرابط، لأنها زادت في تأكيد الحجج السابقة.

3- لاَ تَبْتَئِسْ إِنَّ لِلْأَيَامِ حُجَتُهَا لِلْجِيلِ حتّتُوفِيهِ بِمَا طَلَبَا"[21]

في هذا البيت يربط بين ثلاثة حجج هي:

- لاَ تَبْتَئِسْ ⟵ الحجة الأولى

- إِنَّ لِلْأَيَامِ حُجَتُهَا ⟵الحجة الثانية

" حتي" ⟵ الرابط الحجاجي

-تُوفِيهِ بِمَا طَلَبَا ⟵ الحجة الثالثة

كل هذه الحجج تخدم نتيجة واحدة تدل على أن الواقع الراهن المنبوذ سيتغير لا محالة مع الأيام.

ب - الرابط الحجاجي" لكي" و " بألا" ونمثل لهما بقول الشاعر:

1- فَالْخَيْلُ فَرَتْ لِكَي لا تَحْمِلَ الجُبَنَا وَ السَيْفُ آلى بِأَلاَّ يَلْمَسَ الرِقَبَا"[22]

حيث يربط الرابط "لكي" بين حجتين وهما:

- فَالْخَيْلُ فَرَتْ ⟵ الحجة الأولى

- "لكي" ⟵ الرابط الحجاجي

-لا تَحْمِلَ الجُبَنَا ⟵ الحجة الثانية

إن الحجتين جاءتا لخدمة نتيجة واحدة مفادها ابتعاد الأمة العربية عن الجهاد بسبب الجبن والخوف من الأعداء.

وليدعم الشاعر حججه هذه يورد في الشطر الثاني بالرابط " بألا" الذي يربط هو الآخر بين حجتين واللتان تخدمان نفس النتيجة المذكورة سابقا هما:

- وَ السَيْفُ آلى ⟵ الحجة الأول

- " بِأَلاَّ " ⟵ الرابط الحجاجي

- يَلْمَسَ الرِقَبَا ⟵ الحجة الثانية

وهناك روابط أخرى تمثلها «جملة من الأساليب المتضمنة داخل الملفوظ الحجاجي كالنفي والحصر»[23] ناهيك عن الروابط النحوية مثل الواو و الفاء و ثمّ وغيرها.

***الأفعال الكلامية ودورها الحجاجي في القصيدة:** لعل من أهم المفاهيم الأساسية المتداولة من لدن الدارسين المعاصرين مفهوم الفعل الكلامي الذي أصبح «نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنه كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية...إلى تحقيق أغراض إنجازية... وغايات تأثيرية... تخص ردود فعل المتلقي... ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير فى المخاطَب اجتماعيا أومؤسساتيا، ومنثم إنجاز شئما»[24] فالفعل الكلامي وظيفته التأثير في المتلقي وبالتالي فهو يسعى إلى الإقناع الذي هو خاصية من خاصيات الحجاج.

1- تصنيف أوستين Austin للفعل الكلامي:

أ- فعل القول (أوالفعل اللغوي) Acte Locutoire[25]:هو ما يتلفظ به المتكلم من قول في سياق تداولي متعارف عليه ويمكننا التمثيل له بالقصيدة كلها بوصف كل مستوي من مستوياتها على حسب "أوستين" «أفعالا: الفعل الصوتي،وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة - العربية - وأما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات طبقا لقواعد لغة معينة – العربية- وأما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه

الأفعال حسب معان وإحالات محددة»[26]فالقصيدة عمودية لغتها عربية راع فيها الشاعر كل القواعد النحوية والدلالية، مما اكسبها قوة تأثيرية في القارئ.

ب- **الفعل المتضمَّن في القول Acte Illocutoire**[27]**:** هو الفعل الإنجازي الحقيقي الذي يقوم به المتلفظ أثناء تلفظه ويمثل القصد أو الغرض من التلفظ وقد أطلق عليه "أوستين" القوى الإنجازية وقد تمثل في القصيدة من خلال أفعال الأمر والاستفهام، ونجد الشاعر ينجز فعلا قوليا مباشرة بعد التلفظ به في قوله" افرش له الهدبا" ، حيث يقوم بفرش أوراقه التي شبهها بالرموش لقلمه الذي شبهه برسول الهوى وينجز لنا القصيدة التي هي بين أيدينا.

ج - **الفعل الناتج عن القول Acte Perlocutoire**[28]: هو الأثر الذي يتركه فعل القول المتضمَّن لقوة إنجازية في المتلقي كأن يُصدق أو يُكذب أو يرفض أو يستجيب لما ألقي عليه من ملفوظات وربما الأثر الذي تركته هذه القصيدة علينا بصفتنا متلقيين لها هو تصديقنا لكل ما جاء فيها وما قراءتنا لهذه القصيدة إلا استجابة لدواعي نفسية عاطفية أيقظتها كلمات الشاعر بدواخلنا.

ويمكننا أن نمثل لفعل القول بالرسم الآتي:

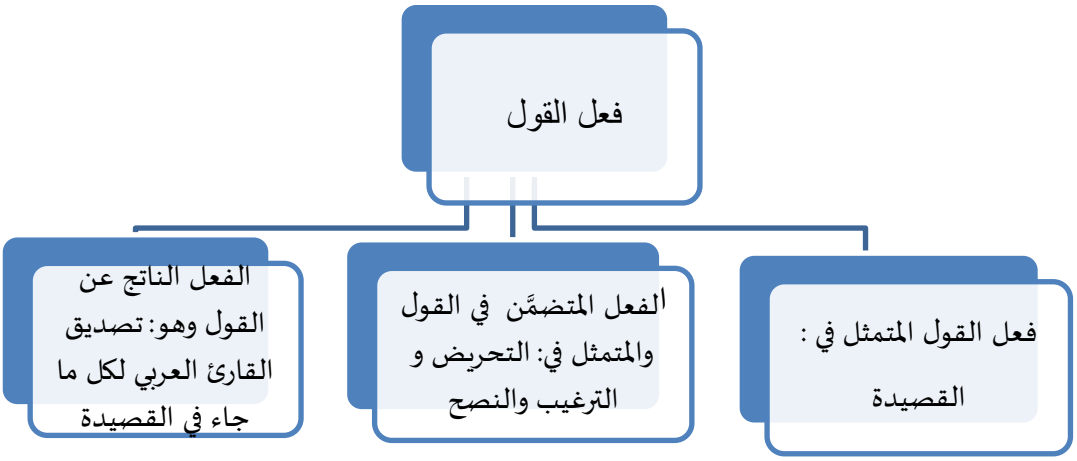

وقد صنف "أوستين" الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف هي: (أفعال الأحكام ، وأفعال القرارات، وأفعال التّعهّد، أفعال السلوك، أفعال الإيضاح)[29] هذه الأفعال التي قام "سيرل" بتعديلها وضبطها وإعادة تصنيفها فجاءت كما يلي:

2- تصنيف سيرلSearle للفعل الكلامي:

أ-**الأفعال التأكيدية أو التقريريةAssertives**[30]: يتمثل عرضها ألانجازي في نقل واقعة ما من طرف المتكلم بدرجات متفاوتة بواسطة قضية أو قضايا معينة، وهي قابلة للتكذيب أو التصديق من طرف المتلقي. ويمكننا أن نورد بعض الأمثلة من قصيدة " تسابيح فجر العرب" لهذه الأفعال التقريرية:

1- **" تنتشي طربا"** هذه البنية تتشكل من فعل قولي"**تنتشي**" أنتج فعلا انجازيا تمثل في تصوير مشهد حركي تقوم به الغيد وهو الرقص الناتج عن مشهد نفسي المعبر عنه بالطرب رقصا.

2- "**يشدوك قافية**" في هذه الجملة فعل القول"**يشدوك**" أنتج فعلا انجازيا تمثل في إصدار صوت غنائي قام به رسول الهوي.

3- "**تندب الحببا**" هنا نجد أيضا فعلا لغويا "**تندب**" أنتج فعلا انجازيا يتمثل في وصف مشهد مأساوي يعيشه الشاعر.

ب- **الأفعال التوجيهيةDirectives**[31]: تهدف إلى حمل المتلقي على القيام بفعل معين، ويسعى المرسل إلى تحقيقها بطرق مختلفة تتمثل في صيغ الاستفهام، والأمر،والنهي، والرجاء، والنصح، والتشجيع، والدعوة، والاستثناء، والاستفسار، والتحدي.وقد تجلت في قصيدة جيلالي حلام من خلال الأمثلة الآتية:

1-إن الاستفهام من أنجع الآليات اللغوية التوجيهية بوصف«الأسئلة أشد إقناعا للمرسل إليه وأقوى حجة عليه»[32] لذلك اعتمد عليه الشاعر كثيرا في نصه مثل:

" مالي،أرى الجيل كفر **أيكره**التربا؟"

ويتمثل الفعل التوجيهي في السؤال الاستنكاري، الناشئ عن تساؤل حقول الزرع عن سبب تخلي الجيل الجديد عن فلاحة الأرض. وقد تضمن هذا الفعل قوة انجازية مفادها التنبيه إلى المخاطر التي ستنجم عن هذا التصرف.

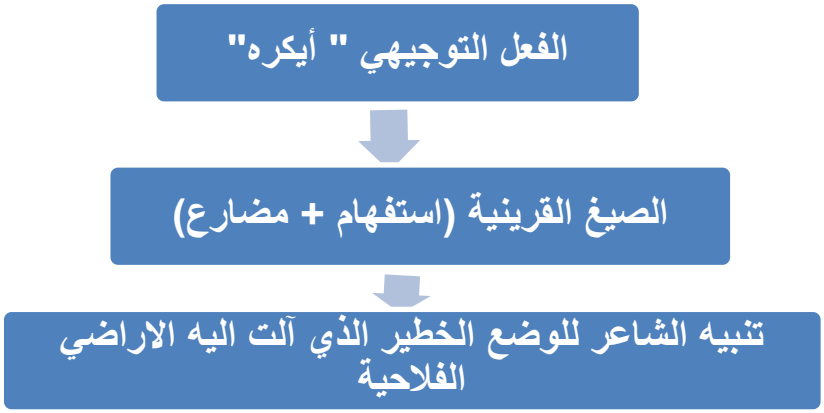

2- وظف الشاعر أسلوبي، الأمر والنهي وهما ينتميان«إلى صنف الأفعال التي وسمها أوستين بـ:" Actes Perlocutionnaires"أي الأقوال التي فيها إنجاز لأفعال معيّنة ولكنّه إنجاز ضمنّي لأنّ صيغتي (الأمر والنّهي)تحملان معنى الدّعوة ومن ثمّة تبدو صلتهما بالحجاج وثيقة لأنهما يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معيّن تحدّده أطروحات الشاعر ومبادئه»[33] ويمكننا التمثيل لهما من خلال الأفعال الآتية:

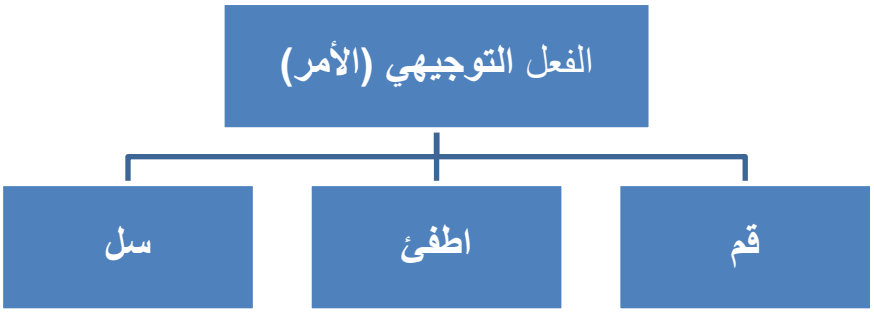

فكل فعل يحمل في ذاته دعوة للقيام بفعل معين، حيث يتضمن الفعل "**قم**" قوة انجازية تتمثل في قول الشعر، ويتضمن الفعل "**أطفئ**" قوة انجازية أنتجت فعل تأثيري يتمثل في ارتياح الشاعر بعدما أفرغ كل ما بجعبته من غضب وحزن في قصيدته، أما الفعل " **سل**" يتضمن قوة انجازية مفادها الافتخار بغية «تعزية النفس والتخفيف عنها»[34]

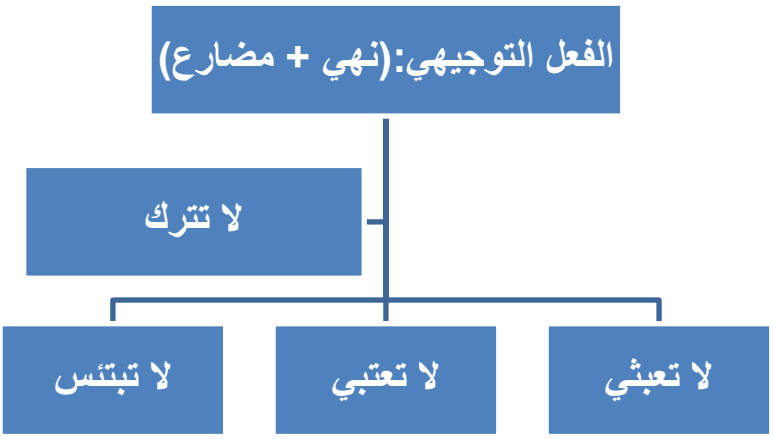

يتضمن كل فعل من هذه الأفعال قوة انجازية، ففعل القول "**لا تعبثي**" فيه نهي للأمة العربية أو بالأحرى لحكام الأمة لإهمالهم لرعيتهم محاولا لفت الانتباه للحالة المزرية التي تعيشها الشعوب العربية.

كما يتضمن فعل القول"**لا تبتئس**" زرع الأمل في نفوس الشعوب المغلوبة على أمرها وأيضا يتضمن فعل القول" **لاتعتبي**" تحميل كامل المسؤولية للحكام المتسببين في هروب الجلية العربية من أوطانها.

ولم تخلو القصيدة من أسلوب النفي الذي لا يقل دوره في العملية الإقناعية، إذ يعتبر من «الأبنية القولية التي تسمح بإدخال متحدث آخر في النص ذاته بشكل غير مباشر»[35] وذلك لأنه «يدل على تعدد الأصوات،إذ يسمح للمتكلم بالتعبير المتزامن عن الصوتين المتقابلين، الصوت الذي يتبنى جانب الإثبات، وصوت المتكلّم المتبني لجانب النفي، فالنفي يشير إلى إثبات ضمني ويردّ عليه»[36] ومن بين الأمثلة الواردة في النص نسجل:

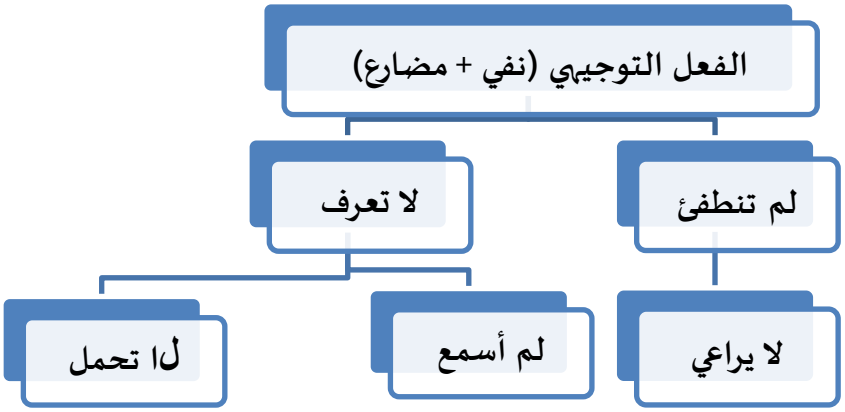

يتضمن فعل القول" **لم تنطفئ**" قوة إنجازية مفادها أن الشاعر ينفي عن نفسه راحة البال وليثبت انشغاله وقلقه عن أمته ووطنه. ويتضمن فعل القول "**لا تعرف**" قوة انجازية تتمثل في أن الشاعر ينفي عن القدامى الجهل والتخلف الذي نعيشه نحن ويثبت للمتلقي علمهم الغزير الذي يعرفون به أكثر مما يعرفون بألقابهم.

وفي "**لا يراعي**" قوة إنجازية تتمحور في نفي مراعاة عرب اليوم لقيمة الإنسان وإثباته لانتهاك حرمته وإنسانيته من طرف أبناء جلدته.

ويتضمن فعل القول" **لم أسمع**" قوة إنجازية تتمثل في نفي استجابة حكام العرب لنداء الشاعر الذي يتكلم باسم جميع الشعوب العربية، وإثبات تقعص وتراجع الحكام عن نصرة الدول المضطهدة والمستعمرة.

أما فعل القول" **لا تحمل**" فيتضمن قوة إنجازية مفادها نفي حب الجهاد في سبيل الله خوفا وجبنا، واثبات حالة الضعف التي يعيشها العالم العربي.

جـ- **الأفعال الالتزامية**Commissives[37] : هذا النوع من الأفعال «يلتزم المتكلم بدرجات متفاوتة بالقيام بأفعال ما مستقبلا عن قصد وإخلاص، والسمة المميزة لهذا النوع عن سابقه كونه لا يبتغي التأثير في السامع. [ومن ملفوظات هذا الصنف] أتعهد، أضمن، أقسم، أتعاقد على»[38]وقد تحقق الفعل التعهدي من خلال قول الشاعر:

1- لَوْ كَانَ لِي فِي دُنَا الأَيَامِ مُكْتَسبُ لَاخْتَرْتُ من صَرْخَةِ الأَحْرَارِ مُكْتَسَبَا[39]

في هذا البيت يقطع الشاعر على نفسه عهدا، إذا ما أطال الله في عمره لن يتخل عن نصرته للشعوب المناضلة والمكافحة للاستعمار،وتمظهر ذلك في فعل القول **"لاخترت"** الذي يتضمن قوة انجازية مفادها الالتزام بعدم التخلي عن مبادئه الإنسانية اتجاه المظلومين.

2- فَالْخَيْلُ فَرَتْ لِكَي لا تَحْمِلَ الجُبَنَا وَ السَيْفُ **آلى** بِألَاَّ يَلْمَسَ الرِقَبَا[40]

نجد فعل القول "**آلى**" يتضمن قوة انجازية مفادها أن الأمة العربية اليوم أقسمت بالا تجاهد وتقتل أعداء الإسلام، والشاعر يريد من وراء ذلك دغدغة مشاعر المتلقي وبالتالي يقوم بتحريضه.

د- **الأفعال التعبيرية**Expressive[41]: الهدف من هذه الأفعال «التعبير عن مواقف نفسية تعبيرا مخلصا وصادقا، وتندرج تحتها أفعال الشكر والتهنئة والاعتذار والتعزية والمواساة والحسرة والتمني والندم والشوق وإظهار الضعف أو القوة أو الحزن والترحيب»[42] و يمكننا التمثيل لها ببعض الأفعال الموظفةفي القصيدة:

1- هَذَا رَسُولُ الْهَوَي قَدْ جَاءَ مُبْتَهِلاً يَشْدُوكَ قَافِيةً **فَافْرُشْ** لَه ِالْهُدَبَا[43]

إن فعل القول" **افرش**" يتضمن قوة انجازية مفادها الترحيب برسول الهوي؛ أي الرضى عن أفكاره التي سيطرحها للمتلقي.

2-قُمْ دَغْدِغْ الرُوحَ بالأَشْعَارِ يا مَلَكِي لا تَتْرُكْ الكَأْسَ ظَمْأى تَنْدُبُ الحَبَبَا[44]

يتضمن فعل القول" دغدغ" قوة انجازيةتتمثل في مداعبة الشاعر لنفسه بهدف مواساتها و التخفيف عنها. كما يسعى من وراء ذلك إلى ربط حبل التواصل بينه وبين المتلقي من خلال دغدغة مشاعر القارئ.

3- وأطفئ لظىَ القَلْبِ إنَّ الشَوْقُ **يَعْصُرُهُ** مُذْ غَابَتْ الحُورُ و الأقْداحُ ما شَرِبَا[45]

يتضمن فعل القول"يعصره"قوةانجازية تتمثل في معاناة الشاعر الولهان بسبب ما يكابده من شوق وحنين إلى أحبته.

و- **الأفعال التصريحية**Déclarations[46]: الغاية من هذه الأفعال«جعل العالم يطابق الخطاب والخطاب يطابق العالم »[47] وخطاب شاعرنا صورة انعكاسية للواقع العربي الراهن، فقوله مثلا:

1- مَا الحَرْفُ إلا سُوِيدَاءَ الفُؤَادِ فَلاَ **تَهْزَأْ** بِحَرْفٍ وكُنْ لِلْضَادِ مُنْتَسِبَا [48]

يتضمن فعل القول "**تهزأ**" قوة إنجازية تتمثل في ربط واقع اللغة العربية مع أبنائها الذين يتنكرون لها ويفضلون اللغات الأجنبية عنها وهو واقع يعرفه المتلقي جيدا.

2- هَذَا له السَوْطَ لِلْأَيْتَامِ يُسْكِتُهُمْ وَ ذاكَ يَبْنِي على أَشْلاَئِهِمْ قِبَبَا"[49]

يتضمن فعلا القول " يُسْكِتُهُمْ" و" يَبْنِي" قوة إنجازية مفادها نقل الشاعر للوضع المزري الذي تعيشه الرعية العربية من ظلم وتجويع و منع لحرية الرأي و...

3- وَ الحُرُّ أَضْحَي على الأَحْزَانِ يَلْعَقُهَا مُرًّا ، ولمَّا يَجِدْ لِلْأَوْضَاعِ مُنْقَلَبَا"[50]

يتضمن فعلا القول "يَلْعَقُهَا" و" يَجِدْ" قوة انجازية مفادها عجز الشاعر والكثير مثله من العرب الأحرار عن تغيير إصلاح هذا الواقع المر الذي يشعر بالغثيان.

استنادا لما تقدم في هذا الفصل يبدو أن شاعر الجزائري يحاجج عن المواطن العربي مطالبا بتحقيق رغباته و حقوقه بصفته إنسانا له الحق في العيش بسلام و أمن و كرامة و في مقدمة هذه الحقوق حرية الفكر والتعبير واستقلال الأوطان مرتكزا على الشعر في طرح حججه المستمدة من الواقع المعيش، وغايته الوصول الى نتيجة حتمية تتمثل في تجديد العقل العربي وتحريره من عقدة التخلف والجهل وهذا ما جعل القصيدة نصا حجاجيا بالدرجة الأولى.

هوامش البحث:

1- ينظر: ياسين سرايعية، تداولية الخطاب الشعري المعاصر- قراءة في عناصر السياق لدى الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي-، مجلة التواصل في اللغات و الثقافة و الآداب، مجلة محكمة و مفهرسة تصدرعن جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد:33، 2013م، ص: 86

* - الجيلالي بومعزة حلام من مواليد1949م بولاية سيدي بلعباس و توفي بها 2006م، كان له حضورا في الساحة الأدبية و الثقافية، ومشاركات في الكثير من الندوات و الملتقيات، نال الكثير من الجوائز منها: الجائزة الأولى في الشعر من جامعة وهران 1968م، ومن مؤلفاته: المعجمية العربية" تقنيات التعريف في المعاجم العربية المعاصرة" و مباحث في علم الأصوات" قراءة في المصطلح الصوتي" و له ديوان شعري "تسابيح فجر العرب" قدمه إلى جمعية مفدي زكريا بسدي بلعباس لنشره 2003م، غير أن هذه الأخيرة لم تنشره بسبب توقفها عن النشاط الثقافي و من أهم قصائد القصيدة التي هي قيد الدراسة، و قصيدة العقد الفريد التي أحدثت ضجة كبرى في الوسط الثقافي، و قد نال عليها جائزة وطنية 2005م.

[2] - فوزية زيار،الخطاب الحجاجي في لافيتات "أحمد مطر"، مجلة فصل الخطاب، ج ،ابن خلدون، الجزائر(تيارت)، ع(03)، أفريل2013،ص:208

[3] - منداس أحمد، لسانيات النص "نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري "،عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط02، 1430هـ - 2009م. ص: 169

[4] - سامية الدّريدي،الحجاج في الشعر العربي" بنيته وأساليبه" عالم الكتب الحديث،أربد، الأردن،ط02، 1432هـ - 2011م. ،ص: 141

[5] - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء،ط1426،01هـ - 2005م،ص: 95

[6]- فوزية زيار،الخطاب الحجاجي في لافيتات "أحمد مطر"، ص:210

[7]- طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثرالعقلي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط02، 2006م،ص:238

[8]- جيلالي حلام، ديوان تسابيح فجر العرب(مخطوط)، ص: 03

[9]- المرجع السابق، ص: 03

[10]- أبو بكر العزاوي، الخطاب و الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان،ط01، 2010م، ص: 38

[11]- جيلالي حلام، تسابيح فجر العرب، ص: 04

[12] - أبو بكر العزاوي، الخطاب و الحجاج، ص ص:47-48

[13]- طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص: 238

[14]- جيلالي حلام، تسابيح فجر العرب، ص:02

[15]- المرجع نفسه، ص:06

[16]- أبو بكر العزاوي، الخطاب و الحجاج،ص: 44

[17]- نفسه، ص:44

[18]- أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، الدار البيضاء، ط01، 1426هـ - 2006م، ص: 73

[19] - جيلالي حلام، ديوان "تسابيح فجر العرب"، ص:01

[20] - المرجع نفسه، ص:07

[21] - نفسه:ص: 07

[22] - نفسه، ص:07

[23] - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث،إربد، الأردن، ط01، 2008م. ص:109

[24]- سامية الدّريدي،الحجاج في الشعر العربي" بنيته وأساليبه"، ص:(54 -55)

[25] - سعاد بسناسي، الأفعال الكلامية وأبعادها التّداوليّة في ضوء العملية التّواصليّة، مجلة فصل الخطاب، ع(04)، جوان 2013م،ص: 55

[26] - مسعود صحراوي،التداولية عند العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر و التوزيع،الجزائر، ط01، 1429هـ - 2008م.ص:56

[27] - م.ن، ص.ن

[28] - م.ن،ص.ن

[29] - ينظر: سعاد بسناسي ،الأفعال الكلامية وأبعادها التّداوليّة في ضوء العملية التّواصليّة، ص:(238 – 284)

[30] - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، دار الكتاب الجديد المتحدة،ط01، 2004م.ص: 158

[31] - المرجع نفسه،ص: 158

[32] - نفسه، ص: 484

[33] - سامية الدّريدي، الحجاج في الشعر العربي" بنيته وأساليبه، ص: 149

[34] - المرجع نفسه، ص: 393

[35] - صلاح فضل،بلاغة الخطاب و علم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 164،أغسطس، 1992م، ص: 94

[36]-المرجع نفسه،ص:94

[37] - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، ص: 185

[38] - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص:102

[39] - جيلالي حلام، ديوان "تسابيح فجر العرب" ص: 02

[40] - المرجع نفسه ص:07

[41] - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، ص: 185

[42] - نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص:103

[43] - جيلالي حلام، ديوان "تسابيح فجر العرب"، ص: 01

[44] - المرجع نفسه، ص: 01

[45] - نفسه، ص:01

[46] - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، ص: 185

[47] - المرجع نفسه،ص: 185

[48] - جيلالي حلام، ديوان "تسابيح فجر العرب"، ص: 02

[49] -المرجع نفسه، ص: 06

[50] - نفسه، ص:07